"فضح" أهوال السجون الإسرائيلية يهدف إلى تحويل التركيز عن جرائم إسرائيل الأوسع نطاقًا

الخميس 12 سبتمبر 2024 12:27 م

سواء كان ذلك للأفضل أو الأسوأ، كان فيلم "كازابلانكا" الذي أنتج عام 1942، والذي ضم طاقمًا من النجوم من بينهم همفري بوجارت وإنجريد بيرجمان، عنصرًا أساسيًا في وصول هذا الجيل إلى دور السينما التي تعرض أفلامًا كلاسيكية ومستقلة وأجنبية في الولايات المتحدة في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات.

فيما يتعلق بدعوته إلى إغلاق عملية مقامرة يديرها الأمريكي ريك بلين (يلعب دوره بوجارت)، يتحدث قائد الشرطة

الفرنسي لويس رينو (يلعب دوره كلود راينز) بخط أصبح شعارًا في ذلك الوقت للإشارة إلى النفاق الصارخ والفساد.

وفي حين يكاد يكون من المستحيل وضع الفظائع في أي نوع من التسلسل الهرمي، فإن "الصدمة" العامة إزاء الممارسات الإسرائيلية المتمثلة في اختطاف المدنيين الفلسطينيين وتعذيبهم بأبشع الطرق، بما في ذلك الاستخدام الشائع والطويل الأمد للاعتداء الجنسي والاغتصاب، يمكن أن تضع ردود الفعل المصطنعة هذه في منظورها الصحيح.

الاغتصاب والاعتداء الجنسي من الأدوات الراسخة في ترسانة إسرائيل لإخضاع السكان الفلسطينيين المستعمرين، والتي يعود تاريخها إلى إنشاء الدولة أثناء النكبة، ومن المنطقي أن تكون عناوين الدعاية في قصة السابع من أكتوبر عبارة عن مزاعم بالاعتداء الجنسي المنهجي من قبل المقاتلين الفلسطينيين ضد الإسرائيليين.

لقد تعلمنا ما يكفي عن كيفية عمل الدعاية الإسرائيلية لفهم أن الأشياء التي يحاول النظام إخفاءها عن نفسه، هي الأشياء التي يميل إلى إسقاطها على أولئك الذين يقاتلون ضده.

الدعاية بلا هوادة

بخلاف القوة الغاشمة، سواء كانت عسكرية أو اقتصادية، والدعاية بلا هوادة التي تشبع جميع جوانب الحياة، هناك طريقتان أخريان مهمتان تحافظ بهما الهيمنة الليبرالية على السيطرة والسلطة، وخاصة في الولايات المتحدة. ولعل أكثرها انتشارًا هو إزاحة السياسة من قبل فئة أخرى، سواء كانت "القيمة الحضارية"، أو أشكال مختلفة من "الاستثنائية"، أو الأكثر ضررًا، المراوغة "الإنسانية".

إننا نشهد كل هذه العمليات في العمل من خلال تمكين أميركا لإسرائيل من ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية في غزة. إن المجاعة والأوبئة عن قصد، والتدمير المتعمد لكل أشكال البنية الأساسية، وحتى التعذيب نفسه، لم تعد قضايا سياسية؛ بل تحولت إلى مشاكل "إنسانية"، وكأنها نتيجة لزلزال وليس سياسة سياسية مدروسة.

وبالتالي فإن السكان الذين تُرِكوا بلا دفاع يصبحون قضية خيرية، وأولئك الذين يحاولون الدفاع عن شعبهم يعتبرون إرهابيين. ورغم أن هذه العمليات مألوفة وقد حدثت تاريخياً في أوقات وأماكن مختلفة، إلا أننا لم نشاهد السيناريو بأكمله على الهواء مباشرة، في الوقت الحقيقي، أو نتمكن من مشاهدة مثل هذه المستويات الهائلة من الظلم والنفاق بوضوح لا يتزعزع.

الطريقة الأخرى التي تعمل بها الهيمنة الليبرالية، وخاصة في الولايات المتحدة، هي من خلال القمع: من خلال تقليص طيف الإمكانيات والأفكار المتاحة، والتي تتجسد بالكامل في نظام الحزبين المتحجر والفاسد الذي لا علاج له، ولكنها واضحة في كل مكان في ما أطلق عليه محلل وكالة الاستخبارات المركزية السابق راي ماكجفرن مجمع MICIMATT (الصناعة العسكرية والكونجرس والاستخبارات والإعلام والأوساط الأكاديمية ومراكز الفكر).

وقد تصاعد هذا بشكل كبير من خلال "الحرب على الإرهاب" في أعقاب الحادي عشر من سبتمبر، حيث تم تقسيم العالم وجميع سكانه وفقًا لفئات مفيدة للهيمنة الأمريكية الكاملة ومأسسة الحرب الدائمة.

خالية من الإنسانية

من المؤكد أن التحضير والبرمجة المسبقة لـ"الحرب على الإرهاب" من خلال عقود من الصور المتواصلة سلطت الضوء الساطع على "المدنيين الأبرياء" الذين يقتلهم "إرهابيون" مجانين، غالباً فلسطينيون ودائماً تقريباً مسلمون.

كانت هذه الأشباح خالية من السياسة أو التاريخ أو الاقتصاد أو أي عوامل أخرى ــ بما في ذلك، ومن عجيب المفارقات، إنسانيتها، على الرغم من أن القوى المهيمنة مستعدة تماماً للسماح لهذه المجتمعات بأن تصبح "بشرية" بمجرد حرمانها من الماء والغذاء والدواء والمأوى والأطفال والآباء والأجداد وكل شيء آخر جعلها بشرية في المقام الأول.

الأساس هنا هو الهيمنة المستمرة على السرد، حتى ولو كان ذلك يعني فضح جرائم المرء. إن القوة المهيمنة مستعدة تماماً لتسليط الضوء على خطاياها، ما دام ما يتم فضحه لا يزال يحول الانتباه عن جرائم أو أشكال أكبر من المقاومة. وبهذا المعنى فإن "الكشف" عن التعذيب في مركز الاحتجاز سدي تيمان يشبه إلى حد كبير الكشف عن جرائم الولايات المتحدة في أبو غريب، ولكن ليس بالطريقة التي يُنظر إليها عادة.

الإذلال الروتيني، والابتزاز، والاختطاف العشوائي، والسجن دون توجيه اتهامات، والتعذيب: إلى جانب "الحقائق على الأرض" في شكل مصادرة الأراضي، وهدم المنازل، والاستيطان، كل هذا يشكل الغراء الذي يربط الاحتلال

الإسرائيلي ببعضه البعض.

لا يوجد فلسطيني غير متأثر. ووفقاً لتقديرات لا تواكب حتى موجة العنف الحالية، فإن نحو 70% من الأسر الفلسطينية لديها فرد أو أكثر من أفراد الأسرة حُكِم عليهم بالسجن بسبب أنشطة مناهضة للاحتلال.

لا شيء من هذا، بالطبع، هو خبر جديد. ولكن كما أدت الكشف عن التعذيب في أبو غريب في عام 2004 إلى تحويل التركيز بعيداً عن تحركات السجناء وشهاداتهم في فلسطين والمغرب وسوريا وأجزاء أخرى من العالم العربي إلى الولايات المتحدة وأفعالها الشريرة، فإن "كشف" الفظائع في سدي تيمان يبدو أيضاً وكأنه تكتيك لتحويل الانتباه.

انهيار الصرح

من أي شيء بالضبط يتم تحويل الانتباه؟ على الرغم من الصدمة الشخصية الواضحة التي ينطوي عليها التعرض للتعذيب، فإن تجربة السجن في فلسطين وفي مختلف أنحاء العالم العربي هي في المقام الأول تجربة سياسية.

ولكن بدلاً من أن نساعد في فهم هذه الحقيقة، فإننا نمنح طيفاً محدوداً للغاية من الأفكار المسموح بها. ويتراوح هذا الطيف من "إسرائيل تفقد روحها"، إلى مشاهد التلصص التي توضح مدى انحطاط المجتمع الإسرائيلي.

يُصوَّر الفلسطينيون كضحايا، وهو ما هم عليه بالتأكيد في مثل هذه الحالات. ولكن هذا في نهاية المطاف يساوي بين الأمراض النفسية التي تعاني منها الدولة الإسرائيلية و"الكارثة الطبيعية" التي تنجح بطريقة ما في تدمير أنظمة المياه والمنازل والمستشفيات والجامعات وكل شيء آخر في طريقها ــ بما في ذلك أكبر عدد ممكن من النساء والأطفال ــ بطريقة مدروسة ومنهجية.

لا يُمنح لنا في أي مكان مساحة للتفكير أو فهم أن التعذيب كان ولا يزال يشكل سياسة أساسية للاحتلال الإسرائيلي؛ وأنه يشكل سمة محتملة لحياة أي فلسطيني، لأنهم شعب مستعمر تحت سيطرة نظام عسكري استبدادي ــ دولة مارقة يستمد دعمها الأساسي من الإطار السياسي الجيوسياسي الأميركي.

إحدى القصص الطويلة المفضلة للرئيس الأميركي جو بايدن الذي اختفى الآن هي سرد كيف تم القبض عليه أثناء محاولته الوصول إلى نيلسون مانديلا في جزيرة روبن. لكن فلسطين والعالم العربي لديهما العديد من مانديلا، السجناء السياسيين الذين لن يجرؤ الساسة الأميركيون على ذكرهم أبدًا.

هذا النطق أو الاعتراف من شأنه أن يبدأ في تفكيك الصرح الأميركي بأكمله لدعم الطغاة وتغيير الأنظمة والقمع السياسي وحصن فظائع إسرائيل - "ضرباتها الوقائية" وقدراتها النووية وتجاهلها التام للقانون الدولي بسبب حق النقض الأميركي - كنذير لما ينتظر أي شخص في المنطقة يخرج عن الحد. لكننا سنرى قريبًا ما إذا كانت الأوقات تتغير بالفعل.

https://www.middleeasteye.net/opinion/gaza-war-israel-exposure-prison-horrors-aims-shift-focus-broader-crimes

مقالات متعلقة

هلا: ملايين تجمعها شركة "إبراهيم العرجاني" على حساب الفلسطينيين الهاربين من الحرب

"طوفان الأقصى".. ومضات تحليلية

بعد تعديل تصريح السيسي .. مبرمج بـ"100 ألف دولار شهريا" فنكوش

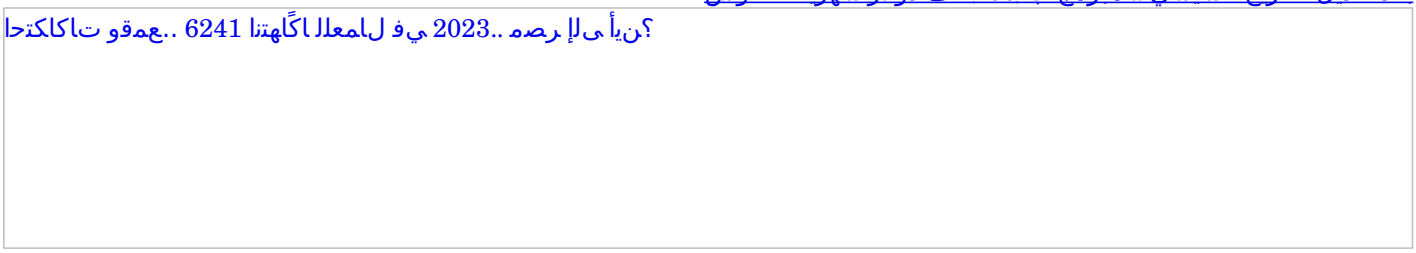

احتكاكات وقمع.. 6241 انتهاكًا للعمال في 2023.. مصر إلى أين؟

إشترك أدخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر 2024 ©